وصف الطبيعة الحالمة والطبيعة الغاضبة

الجبال

ـ جبال شاهقة تخترق قممها قلب السحاب يكسوها الصنوبر والفلين فلا ترى العين سوى الغصون والأفنان والأوراق

ـ جبال عملاقة شامخة شاهقة في الفضاء الواسع تبدو للناظر كأنها تلامس السماء

ـ جبال صخرية عالية ذات قمم حادة ومنحدرات وعرة

ـ جبال شمّاء، تعمّم هاماتها سحب دهماء، لا تخلف الظنّ أبدا، تجود بمائها الثّمين باستمرار على أرض معطاء، فتكتسي خضرة دائمة، وتتزيّن بنبت وأزهار، فيتلطّف الجوّ، وتنتعش النّفوس، وتسبى القلوب

السهول

ـ سهول ممتدة تكسوها الخضرة حيثما التفت وتعلوه أزهار مزدانة بمختلف الألوان الزاهية حتى وكأنها زربية من حرير

ـ سهل يكسو أديمه بساط أخضر جميل خصب ونضير يثير في النفس البهجة

ـ الريف عظيم بشمسه الوهاجة وظلاله الوارفة وبهوائه اللافح ونسيمه الوديع وبغدرانه وسواقيه الجارية

ـ أعشاب خضراء تغطي الأرض كأنها بساط أخضر بديع والماء يجري خلالها يلمع مثل الفضة وزهور البنفسج والقرنفل والياسمين تزيّنها وتضفي عليها مسحة من البهاء والسّحر والفراشات الجميلة تتنقّل فوقها تلثم الرّحيق في نهم كبير والنّسيم العليل يحرّكها في رفق متّبعا ألحان تغريد الطيور وتسبيحها.

ـ حقول شاسعة مترامية الأطراف فأينما وجهت نظرك لا ترى إلا ما يسحر العين ويشرح الصّدر ويشنّف الأذن، إنّه جمال الحياة.

www.mektabeti.com

وكان مرأى تلك السهول الخضراء يثير في الصدر انشراحا وفي النّفس سكينة وفي العقل انبهارا:أشجار صنوبر وأزهار بنفسج وأطيار بلابل وشمس تحبك خيوطها الذّهبيّة وترمي بشباكها على كلّ من حولها.

الغابات

ـ ما أجمل غابات الزّيتون الّتي تمتدّ على مدى البصر حسب نظام هندسيّ وترتيب بديع يأخذ بمجامع القلوب ويبعث مرآه على السّرور

ـ كان المكان رائعا وديعا يأخذ الألباب إنه غابة بل جنّة متراميّة الأطراف تعانقت أغصان أشجارها الباسقة ببعضها البعض وامتد اخضرارها على مدى البصر وقد سحرت النفوس بجمالها الأخاذ وظلالها الوارفة وطيورها المغردة وهوائها النقي.

ـ وصلنا إلى مكان من الغابة موحش أشجاره كثيفة تحجب أشعة الشمس وسكونه مريب يرعب القلب وخشخشة أوراقه اليابسة تحت الأقدام تقشعر الأبدان

ـ هذه جنّة من جنان الفردوس أشجارها وارفة الظلال خضراء متعانقة الأغصان وعصافيرها تمرح في بهجة لاعبة هانئة غير عابئة بما حولها وغزلانها وسناجبها وأرانبها ترتع وتمرح وترعى العشب الأخضر النّضر في اطمئنان وراحة.

ـ كانت الغابة أشد سحرا عند الغروب فالشّمس تبذر تبرها المحمرّ اللّمّاع على الخضرة فتزيدها رونقا وبهاء وتختبئ في خجل مودّعة الطّبيعة جاعلة من الأشجار حجابا أو وشاحا مزركشا يضفي على جمالها جمالا وعلى بهائها بهاء

ـ زرت مدينة، سباني جمال طبيعتها: رمال عسجديّة صفراء في شاطئها، وأشجار زبرجديّة خضراء في غاباتها، ومياه لازورديّة زرقاء في بحرها، فإذا وقفت في رُبوة من رباها، متّعت بصرك بجمال الرّبى، وروعة الماء، وبهاء الغاب

المنحدرات

مكتبتي
www.mektabeti.com

ـ واد نضير خصيب تحيط به جبال صخرية يتدفق منها ماء غزير عذب صاف يتلوّى في سواقي متعرّجة متفرّقة تارة، ومتّحدة أخرى تلتقي في قعر الوادي

ـ جبال شاهقة توجد فيها عين ماء فوارة يتدفق منها ماء غزير فإذا هي شلالات تنهمر على المنحدرات

ـ منحدرات بها ينابيع رقراقة كثيرة تتفرع منها مئات الجداول فتحدث خريرا دائما يستهوي القلوب ويشنّف الأسماع

البحر

ـ شاطئ البحر ضفافه فضية بلون الفجر ورماله ذهبية بلون الشمس ومياهه زرقاء بلون السّماء

ـ كان الماء في البحر أزرق صافيا يحاكي زرقة السماء وصفاء البلور وكان بعض النّاس قد استلقوا على الرمال الذهبية اللاّمعة معرضين بشرتهم إلى أشعة الشمس الحارقة والبعض الآخر فضل الجلوس في ظل الشّمسيات بينما أخذت مجموعة من الشبان يلعبون بالكرة يقفزون ويتصايحون وعلى سطح الماء زوارق صغيرة ناشرة أشرعتها كأنها حمائم بيضاء

ـ كانت أمواج البحر تتلألأ تحت أشعة الشمس الحارقة ورمال شاطئه تلمع كأنها التبر

ـ كانت السفينة تمخر عباب البحر بينما بدأ البحر يثور كالجمال الهائجة وأخذت الأمواج تتجمع مزمجرة مزبدة وجعلت الرياح العاتية تتلاعب وترمي بها في كل الاتجاهات

ـ البحر ... جبّار عنيد، إن غضب، وثار. ولطيف، كريم إن سكن ولان !! البحر مغر، جذّاب ولكنّه غرور، فتّاك، قاتل !

الصحراء

ـ تبدو الواحة كجزيرة أو كزمرّدة تتلألأ وسط صحراء من الرّمال الصّفراء البرّاقة، وهذه المجموعة من نبات وصحراء، وجوّ وشمس، يعطي بعضها بعضا جاذبيّة ساحرة

مكتبتي
www.mektabeti.com

ـ يقصد النّاس الواحة للتنعّم بجنّاتها، وطيب هوائها، واعتداله في أيّام الشّتاء، وتمتدّ جنّات النّخيل كيلومترات، تتخلّلها عيون جاريّة

ـ توغلنا في الصحراء القاحلة فامتدت أمامنا الرمال رداء يلف الدنيا من حولنا بصفرة فيها بريق الذهب ولمعان التبر وبدت تجاعيد رمالها متلاحقة في انسياب والتواء وكثبانها أكثر تباعدا وأشد روعة وجمالا حتّى بلغنا قلبها فوجدنا أنفسنا داخل واحة يتوجها النخيل وتخترقها المسارب والجداول يترقرق فيها الماء على مهل يتلألأ تحت أشعة شمس كأنها لا تغيب أبدا

ـ هبت عاصفة رملية فامتلأت الأرض والسماء بالرياح الشديدة المحملة بالرمل

امتدت أمامنا الرمال رداء يلف الدنيا بصفرة فيها بريق الذهب ولمعان التبر

ـ جزر خضراء ... في رمال صفراء ... فيها ظلال وارفة، ومياه جارية، وأشجار يانعة، تحيل قسوة الصّحراء إلى لين وشقاءها إلى نعيم ... تلك هي الواحات، في الجنوب

ـ في الواحات ... ترى عمالقة النّخيل، تحيط بالبساتين، أو تحتلّ وسطها، صفوفا مستقيمة، متناسقة، وقد تحزّمت بالدّوالي، والكروم ... في أوساطها ... وتراصفت أشجار الرّمّان، حول جذوعها ... فتختلط الثّمار، مثلما اشتبكت الأشجار ... فترى أبدع منظر، وأروع جمال ... عراجين التّمر، تحنو على عناقيد العنب ... المتدليّة فوق الرّمّان، والسّفرجل والتّفّاح ... وما شئت من ثمار، أروتها المياه، وأنضجتها حرارة الشّمس. يمتدّ تحت الجميع، بساط من الحشائش، وأصناف البقول. يغريك بالجلوس ويدعوك للمكوث ... فإذا استجبت للإغراء شنّف سمعك خرير الماء، المنساب في السّواقي. وأطربتك زقزقة العصافير، المتواثبة بين الأغصان، الباحثة عن رزقها بين الثّمار النّاضجة والحشرات الطائرة. هكذا هي البساتين ... في الواحات ... إنّها بهجة للأعين، ومطمح للأنفس، وعرضة للأيدي ... لذلك تحرس البساتين باستمرار، خوفا من عبث الصّغار، وفضول الكبار

وصف الأماكن الاجتماعية

مكتبتي
www.mektabeti.com

المدينة

ـ وقفت في أوّل الشّارع وأرسلت نظري فرأيت على الجانبين مغازات عصرية وبعض أكشاك وصفوف من السيارات مركونة

ـ مدينة عجيبة غريبة متسعة الأرجاء مترامية الأطراف طرقاتها زرعت على جانبها أشجار الورد والفل وفي شرفات منازلها أصص القرنفل

ـ سرت في المدينة فإذا بي أشقّ شوارع واسعة، وألج ساحات تحيط بها مقاه وفنادق ومغازات، وأقف أمام حدائق عموميّة زيّنتها أشجار باسقة خضراء وعمّتها الخلائق من النّاس، هؤلاء النّاس الّذين احتشدوا في كلّ الأمكنة يترقّبون الحافلات، أو يجتازون الشّوارع بحذر متّبعين الممرّات المسمّرة، أو يسيرون بتأنّ عند ملتقى الطّرق حيث نجد رجال الشّرطة، ينظّمون حركة السّير ويسهرون على راحة المواطن

ـ في جوّ المدن لا يشعر الإنسان بالسّماء إلاّ عند المطر، ولا بجمال الشّمس أو جمال القمر، فكلّ ما حوله من جمال جمال صناعيّ. فهو قد استغنى بجمال باقات الزّهور عن الزّهور في منابتها، وبثريّا الكهرباء عن ثريّا السّماء، وبالحسن المصنوع عن الحسن الطّبيعيّ

ـ بهرتني المساجد ذات المنارات الرفيعة والمدارس العديدة والمستشفيات بنظامها والبنايات بتناسقها

القرية

ـ ما أروع مشهد القرية بصومعتها الشامخة وحقولها المترامية وشمسها الوهاجة ورقرقة مياه سواقيها وزقزقة عصافيرها وأغاني فلاحيها

ـ خرجت مُبَكِّرًا أمشي بين الحقول، وأرقب الشّمس في طلوعها، والشّمس في الرّيف أجمل منها في غيره، فلا بنايات شاهقة تحجبها، ولا جدران تمنع حرارتها، بل هي تصافح النّاس مباشرة في وداعة ولطف وحنان

ـ في القرية الحياة حرّة طليقة، والجوّ مفتوح، والهواء جديد لم تفسده الحضارة بدخانها وغازاتها وسمومها، ولم تحبسه الأبنية الشّامخة، ولم تحجزه الحيطان الأربعة، تتجدّد النّفس بتجدّده، وتمتلئ نشاطا من نشاطه

مكتبتي
www.mektabeti.com

ـ إنّما يشعر الإنسان حقيقة بجمال الكون، يوم يخرج إلى الرّيف، ويفرّ إلى القرى والباديّة حيث أحضان الطّبيعة فيكشف له الخالق عن جمال مخلوقاته، وتأخذ بلبّه السّماء في لا نهايتها، والبحار في أبديّتها

ـ دخلت منزلا تحيط به حديقة فسيحة غرست أشجارا ظليلة وأزهارا عطرة وإذا الأشجار تتراقص أغصانها على السور تكسوه خضرة وتزيده بهاء وفي وسط المنزل فناء فسيح زاده رونقا وبهاء

وصف الطبيعة الغاضبة

ـ الأرض قاحلة مشققة ممتدّة حتّى الأفق تخطب ودّ السّماء في تضرّع لتمطرها بقطرات من الماء تعيد إليها الحياة. فلطالما حلمت بأن تعود لها نظارتها فتنموا أعشابها، وتزهر ورودها، وتعمّرها العصافير

ـ قطّبت السّماء وجهها وتلبدّت الغيوم في السّماء وانطلقت الرياح تعبث بكلّ شيء تولول وتصفّر وتتنقل في الشوارع وبين البيوت تتوعّد وتتهدّد

ـ تلبدت السماء بالغيوم ونزلت الأمطار كأفواه القرب ظنناها سحابة عابرة لكنها لم تنقشع ولم تزدد الأمطار إلا شدة ولم يزدد الرعد إلا قعقعة وقصفا حتى لكأن الدنيا مجنونة عاودتها نوبتها فهي تصرخ وتقفز وتمزق ثوبها بيدها وتشق حنجرتها بصراخها وازداد الرعد قرقعة وألهب البرق واستشرى وأغدقت السماء وجادت وعصفت الريح وثارت وتدفق السيل يطيح بالأخضر واليابس.

ـ ثار جنون العاصفة مولولة ثائرة غاضبة ترمي بما يعترضها هنا وهناك دون شفقة ولا رحمة فخفت وعرفت يومها خوفا ما عرفت له مثيلا في حياتي، ولا أعتقد أنّني سأرى مجدّدا الطّبيعة على هذا الوجه

ـ ألقيت نظرة من خلال نافذة الفصل فإذا الأشجار تهتز اهتزازا عنيفا وإذا الأمطار كأفواه القرب وإذا السّاحة بركة متماوجة فانقبضت نفسي وتراجعت

www.mektabeti.com

إلى الوراء متسائلا في حيرة : كيف سأغادر هذا الفصل الدافئ لأواجه ذاك الزمهرير الهائج.

ـ سمعنا قعقعة عظمى فد انبعثت من السّماء فاهتزّت الأرض لها، أسرعت إلى النّافذة فرأيت منظرا هائلا، انقلب كلّ شيء، وارتفع في الفضاء، تدبر به الرّياح وتقبل، تعلو به وتنزل مولولة غاضبة. وخيّل إليّ أنّ العاصفة لن تهدأ قبل أن تقضي على كلّ شيء وكنت وحيدا أترقّب عودة والديّ ...

ـ سمعنا قعقعة عظمى فد انبعثت من جميع أرجاء البحر في آن واحد، فاهتزّت السّماء، وانقلب عالي كلّ شيء أسفله، وصاح الجميع « العاصفة ».

هنا رأيت منظرا هائلا، رأيت السّفينة ذرّة هائمة في ذلك الفضاء الفسيح، تقبل بها الرّياح وتدبر، وتعلو بها الأمواج وتنزل، ترتفع ارتفاع الجبال حتّى تكاد تلامس السّماء، وهي ترغي وتزبد، وأصبحت مقدّمة السّفينة ترتفع، ومؤخّرتها تهبط. علم ركّابها أنّ الهلاك أصبح على قاب قوسين منهم أو أدنى فذعروا وتهافتوا على سطحها يصيحون ويطلبون النّجدة

ـ سرت في الشارع المقفر مواجها ريحا عاتية تصفع وجهي وتلسع ساقي وتتسرب تحت معطفي فيقشعر جلدي ويرتعش جسمي وتصطك أسناني فأنطلق مهرولا حانيا ظهري دافنا رأسي بين كتفي ومن حين لآخر أخرج منديلا أمسح به أنفي وقد استحال نبعا لا ينضب ماؤه.

ـ حشدت الرّيح السّحب، فازدادت دكنة وانحطاطا شيئا فشيئا حتّى تدلّت نحو الأرض وهي تدوّي وتئنّ، ولمع البرق، وطنّ الرّعد طنينا، وأزّ أزيزا، وعوت الرّياح مختصمة فيما بينها، فقذفت بكلّ ما اعترضها، حينها اعتصرت السّحب وألقت بما فيها على المنازل وكلّ من حولها أمطارا كأفواه القرب

ـ انتابني الذعر لمنظر الأشجار الساقطة والجذوع المتهاوية والأغصان المتناثرة السّابحة في مياه السّيول الجارفة الملتفّة بالمنازل كأنّها حيّة قد أحكمت قبضتها بفريستها وهيّأت نفسها لابتلاعها

ـ ازدادت العاصفة قساوة عندما هطل المطر وتساقط البرد يرجم الأشجار والأرض وأمل الفلاحين وشقت الأرض في صلب الأرض جداول تتدفق ملتوية

مكتبتي
www.mektabeti.com

تجرف التربة فتجرف معها الحياة استمرت هذه العاصفة ساعة من الزمن كانت أطول من الدهر وأقسى من ضربات الفأس والمعول

ـ خرجت من المدرسة في يوم من أيّام الشّتاء، وأخذت أمشي بخطى سريعة، غير مبال بالزّمهرير، لأنّي كنت أريد الوصول بسرعة إلى المنزل، ولمّا كنت في منتصف الطّريق، هبّت ريح عاصفة شديدة دوّت بها جوانب الأفق، وقعقعت لها قبّة السّماء، حتّى حسبتها توشك أن تنقضّ، وأخذت تجاذبني معطفي مجاذبة شديدة، كأنّها تأبى إلاّ أن تنزعه منّي،استمررت أدراجي،أتيامن معها تارة، وأتياسر أخرى، وأندفع متقدّما، وأكرّ راجعا، هدأت العاصفة قليلا، ولكنّها ما هدأت إلاّ لتفتح الطّريق إلى الغيث الهاطل، فلم تهدأ ثورتها حتّى ثار ثائره، وأخذ يتساقط سقوطا شديدا، فابتلّ معطفي، ومشت الرّعدة في جميع أعضائي. ولكنّي تجلّدت، وقاومت، وغالبت الطّبيعة، حتّى وصلت، ولكنّي لم أصل إلاّ بعد وقت طويل

ـ غمرت الظّلمة الكون، وبدأت الأمطار تنهمر بغزارة، والعواصف تصفّر، وتتسارع، فترتعش لهولها الأشجار، وتتململ أمامها الأرض، اختبأ النّاس والحيوانات، ولم يبق سواها تخطب على مسامع العمارات، والمنازل

ـ في فصل الخريف الشمس خجولة والهواء لطيف أوراق الأشجار الصّفراء تتساقط وتتطاير في الفضاء الرحب كتطاير العبرات، ثمّ تتكدّس، وتتراكم على الأرض

ـ كانت السّحب كثيرا ما تتكاثف فوق الجبال، ثمّ تسقط أمطار تمدّ الوادي بالحياة، وتسيل فيه بقوة. وكثيرا ما حدث أن فاض الوادي وأصاب القرية المجاورة الموجودة في مكان منخفض بفيضاناته

ـ رمينا إلى بعضنا بحبال تعيق جرّ الماء لأمتعة النّاس، وسارت الأمور على أحسن وجه، وأخيرا بدأ الفيضان ينحبس

وصف الطّبيعة الحالمة

مكتبتي
www.mektabeti.com

ـ كانت الحديقة فاتنة، فالأزهار تتطاول مبرزة نفسها نحو الضياء، وأغصان الأشجار تعانق بعضها بعضا في رقّة وحنان، والطّيور تتنقّل بينها منشدة لحن الحياة

ـ ولد الرّبيع من جديد، وانبثقت معه سيول من الضّياء تتدفّق بعد ذلك الظلام الطّويل. الطّبيعة تفتح رئتيها للهواء النّقيّ وقد تخلّصت من ثقل الشّتاء الّذي كان جاثما على صدرها

ـ ذهبت إلى الحديقة رغبة في النزهة، فوجدت كل شيء فيها يضحك، الأزهار مفتحة تملأ الجو عبيرا، والفراشات راقصة فرحا بالربيع، والعصافير منشغلة ببناء أعشاشها تغرّد وتنشد أعذب الألحان، المياه تترقرق من بين الصّخور في بطء وانسجام

ـ استيقظ الطّفل وقد أفحم صدره أملا وحبورا، لم يعرف لهما مثيلا منذ أيّام عديدة. فتح النّافذة فإذا الشّمس الفتّانة تدعوه في رقّة ودلال للخروج، وإذا بالأشجار بقامتها الممشوقة، وخضرتها الجذّابة، وبريق النّدى على أوراقها توقظ في نفسه حبّ التّجوال، والتنزّه

ـ توقّفنا ونزلنا وإذا بنا وسط واحة من أشجار النّخيل، وكم كان ابتهاجي كبيرا وأنا أتملّى ذلك المنظر الجميل، فهو يبدو كلوحة فنيّة رائعة

ـ كان الربيع قد انتشر في كل مكان وكسا الأرض رداؤه المرقش فالحقول قد هاجت بالأزهار على اختلاف أنواعها وألوانها والأشجار ارتدت حلة من الأوراق الفتية والطيور خرجت ترنم أناشيد الفرح بقدوم فصل الجمال والطبيعة كلها بهجة ومرح.

ـ وقفت أنظر إلى المروج الخضراء الممتدّة بأعشابها الناضرة، وورودها اليانعة، وإلى السّهول المنبسطة انبساطا يبعث في النّفس السّرور، ويجعلها تهفو إلى أن أكرافها الواسعة الّتي تبهج العين بآيات فنّها، وتروّح الصّدر بهوائها العليل، وتبهج الرّوح بنفحاتها الشذيّة. ظللت أتنقّل من مكان إلى مكان حتّى إذا نال منّي التّعب أويت إلى سنديانة ظليلة لأرتاح.

مكتبتي
www.mektabeti.com

ـ وصلنا إلى المكان فإذا هو حديقة غناء يكسو أرضها بساط من الأعشاب الخضراء وانتشرت الأزهار الفواحة من خلالها تدغدغ الأنوف وتهز النفوس وتنشيها، وبدت السماء كعين الطفل صفاء تغطيها العصافير المغردة تخالها في عرس أو مهرجان من الألحان وما ألحانها إلا فيضان ما في قلبها من الغبطة بالوجود...

ـ جلست تحت سنديانة ظليلة، أغصانها متشابكة، يمرّ بها النّسيم فتطرب، ويداعبها بأصابعه الخفيّة فتسمعني من حفيف أوراقها، وتغريد بلابلها أعذب معزوفة غنّتها أوتار الحياة

ـ فتنني هذا المنظر البديع، واطمأنّت نفسي لسحره، وموسيقاه المنبعثة من حفيف الأوراق، وخرير المياه المنسابة في هدوء، وتغاريد العصافير المبتهجة المتنقلّة من غصن إلى غصن، واستأنست لكلّ ما حولي أنسا عظيما

ـ فصل الرّبيع، فصل الأحلام، الكلّ منتش غارق في الأحلام، فالعصافير منشغلة ببناء أعشاشها تحلم بفراخها والأشجار الخضراء بأغصانها وأوراقها الغضّة تحلم بالثمار، والحيوانات ترعى العشب في طمأنينة تحلم بصغارها تدب حواليها والفلاح يتأمّل حقله يحلم بالسنبلة التي دفن أمها في الأرض تلك هي يقظة الحياة بعد هجوعها .

ـ لم أنتبه من حلمي إلاّ آخر العشيّ والشّمس عند الأفق تقف وقفة الوداع بلونها الأحمر المتوجّه الّذي أضفى على الدّنيا هالة من التبر المتلألئ وكأنّها لا تريد المغادرة

ـ بدأ الظلام يمتدّ، وينبسط على المكان، فأخذت طريق العودة وفي نفسي سرور عظيم وارتياح ونشوة لا توصف. إنّ الطّبيعة لهي الفضاء الرّحب الّذي يتأمّل فيه الإنسان آيات الفنّ وشواهد الجمال، وفيه يطمئنّ، قلبه ويشعر بالسّكينة، وتفعم نفسه ابتهاجا وأملا.

ـ انبثق الفجر وتهادى النّور يشقّ طريقه بين فجوج الأشجار النّاعسة يدغدغها، ويرقص أغصانها وأوراقها الغضّة، فتتمطّى وتفتح عينيها في هدوء ودلال، وتهتزّ لتوقظ العصافير النّائمة، وتعلمها بحلول يوم جديد

مكتبتي
www.mektabeti.com

ـ كان اليوم ربيعيّا صاحيّا صفت فيه السّماء، وزها الكون بعد فترة سبات، فخرجت لأنعم بما حبانا به اللّه من جمال بديع، لم أبتعد كثيرا، كانت الطّبيعة تحتويني، أشجار خضراء باسقة تتطاول رافعة أعناقها إلى السّماء حامدة شاكرة، وعلى أغصانها حطّت طيور مغرّدة بمعزوفة هي أشبه بابتهالات تمجّد قدرة الخالق على الخلق، وتحت قدميّ امتدّ بساط أخضر زركش بضروب من الزّهر وشقاشق النّعمان

ـ سرت بين نفحات الرياحين وأهازيج الطيور وخرير السواقي وخوار البقر وصهيل الخيل وصياح الديكة وثغاء الأغنام ثم تخليت عنها لأمتع نظري بهذا الوشاح البديع الذي يغشي الأرض ولأستمع إلى أصوات تلك المخلوقات التي تسبح بلغاتها العديدة وظللت أملأ رئتي من هذا النسيم العطر الذي يتنازعه قر الشتاء وحر الصيف فلله ما أجمل الربيع

ـ كانت الشّمس تستعدّ لتأوي إلى مرقدها، كانت تقاوم الرّغبة في البقاء، فأضفت على الكون هالة من السّحر، ونثرت على الطّبيعة غبار التّبر فتلألأ في كلّ مكان

ـ تراقصت حولي فراشات مزهوّة بألوانها الفاتنة تغازل الزّهور تارة وتلثمها أخرى ممعنة في امتصاص لذيذ رحيقها

ـ لمس الرّبيع الأزهار بعصاه السّحريّة فتباينت ألوانها في تناسق عجيب

ـ كان الفصل ربيعيا فالسماء زرقاء صافية وشمسها مشرقة وروائح الأزهار الذكية تمتزج بالهواء وتملأ الصدر انشراحا وتداعب الألوان الزاهية الأبصار فتريحها

ـ كان النّسيم عليلا بليل يعبق بشذى الطّبيعة العذب يداعب وجنتيّ، ويهدّئ نفسي، ويخدّرها، فأنعم بلذيذ الأحلام، وأسبح في عالم من الخيال، عالم كلّه سعادة وحبور يخفق له قلبي ويحلّق فيه فؤادي نشوة عارمة

ـ عدت إلى المنزل أسبح مع النّسائم وأبتهل مع الطّيور العائدة إلى مراقدها، الحامدة الشاكرة لربّ قدير رحيم جعل الجمال في متناول كلّ كائن لينعم به، ويتأمّل فيه

مكتبتي
www.mektabeti.com

ـ أحسست بيد سحريّة دافئة توقظني برقّة ولطف، تململت قليلا، وفتحت عينيّ، وإذا بأشعّة الشّمس تتسلّل من النّافذة، فتغمر الغرفة بموجة من الدّفء والنّور، وتبعث في النّفس نشوة ورغبة في الخروج. نظرت من النّافذة فإذا الطّبيعة ملء العيون بما أبدع اللّه فيها من ألوان زاهرة، وأبرزه من أغصان ناضرة، وخلقه من جمال رائع، متناسق، منسجم يحيّر العقول، ويأخذ اللّبّ، ويعلّم الفنّانين فنّهم، ويرقّي ذوقهم، ويلهمهم الإبداع في التّنميق، والإجادة في التّزويق...

ـ حلّ الربيع وتجلّت الطّبيعة في أحلى حللها، فملأت الجوّ عطرا بأزهارها العبقة، وثمارها الفائحة، وريّاحينها الطّيّبة، فأنعشت النّفوس، وبعثت الأمل، وحرّكت أشجان الطّيور، وأطلقت لسانها. كانت عجماء فأفصحت، وكانت خرساء فنطقت، وكانت بكماء فصوّتت وغرّدت. ولمّا غنّت، حرّكت أشجان الإنسان، وأوحت إليه بالمعاني الحسان، فخرج النّاس إلى الحدائق، والغابات، يتمتّعون بسحر الرّبيع

الرّحلات

ـ قرّرت أن أزور مع أصدقائي الغابة المجاورة للمدينة. وصلنا فكانت الشّمس ترسل أشعّتها الذّهبيّة الهادئة على الأشجارفتزيدها جمالا وفتنة

ـ استمررت أسير متنقّلا بين الحقول، والبساتين

ـ وكاد الوقت ينقضي، ونحن في لعب مرح، وأحاديث حلوة شائقة، فنبّهنا المعلّم إلى أن نستعدّ للرّجوع، فاستعددنا متراخين كأنّنا استيقظنا من حلم جميل

ـ وصلنا إلى مدينة عظيمة بيوتها بيضاء، ونوافذها كبيرة، وطرقاتها متعرّجة

ـ في يوم من أيّام الرّبيع الجميلة، ونسيم الهواء يداعب أوراق الشّجر والأغصان تتمايل، والعصافير تغنّي. استيقظت في منتهى الحيويّة، والنّشاط، وخرجت أتجوّل

مكتبتي
www.mektabeti.com